# القواعد الاساسية

## في تأليف معجم لغوي تاريخي (١)

تألفت لجنة بمجمع فؤاد الاول للغة العربية سميت لجنة المعجم ، اجتمعت ونظرت في انواع المعاجم التي تحتاج اليها اللغة العربية ، وبخاصة المعجم اللغوي التاريخي الذي يجمع شتات المفردات التي استعملت في اللغة منذ عصور الجاهلية الى الآن ، وبيان المعاني التي تمافت على الالتقاط في الاستعمال اللغوي مرتبة بحسب العصور ، واظهار المعاني الحقيقية من المعاني المجازية ، الى غير ذلك من الاشياء التي تحسن ذلك المعجم سجلا للغة وتاريخ لفاظها ، وتطور معانيها ، والفصل بين القديم والمولد والمعرب والدخول من اللغات الاخرى . وكان الاستاذ الدكتور انيس قد بدأ في كتابة معجمه اللغوي التاريخي الذي انتهى به الى آخر القرن الثالث الهجري ، وقد جزءاً من جزازاته الى مصر ، ولا تزال محفوظة بدار المجمع ، فاتجهت النية الى ان يعتب المجمع على عمل الاستاذ فيبدأ معجمه بالقرن الرابع الهجري الى الآن . ولهذا الغرض كلفت بأن اضع تقريراً عن الطريقة التي تتبع والخطوات التي تتخذ قبيل في تأليف هذا المعجم ، فلم أجد طريقة اجدى من الرجوع الى مقدمة معجم اكسفورد اللغوي التاريخي لاستخلاص منه القواعد التي جرى عليها مؤلفوه والطرق التي اتبعوها ، فاستخلصت من تلك المقدمة تقريراً قدمته لجنة المعجم في اوائل سنة ١٩٣٩ ثم استفلت من المجمع في صيف ذلك العام . وظل العمل في هذا المعجم العظيم ، الذي لا يجمع شتات اللغة فحسب ، واقفاً عند هذا . فاذا نشرت هذه صفحات المتنطف ما استخلصت من مقدمة معجم اكسفورد في هذا الظرف ، فاني انما أمثل ذلك وكلي امل في ان يشمر المجمع عن ساعده ويرسل دعواه الى العالم العربي كله ليؤيده في هذا الجهد الذي سوف يكون ، إذا تم ، سجلا للغة وتاريخ مفرداتها وعاملا يؤيد جامعة العرب . وعندي ان أعظم ما تخدم به جامعة العرب شيئان : معجم لغوي تاريخي ، وموسعة كبرى أي دائرة معارف تجمع الى العلوم والآداب الحديثة ، آداب العرب وتاريخهم . شيئان من اعظم مقومات الجنسية العربية ، مصر ، بتأييد العرب ، أقدر الامم العربية على الاضطلاع بهما .

اسماعيل مظهر

***

بدأ العمل في معجم اكسفورد اللغوي التاريخي الحديث في سنة ١٨٥٩ ، وتم طبعه في ١٩ من ابريل سنة ١٩٢٨ ، فكان العمل فيه قد استغرق قرابة سبعين عاماً . ولم يشرف طبعه على التمام حتى كانت نسخه قد نفدت ، فأعيد طبعه ، وظهرت طبعته الثانية في سنة ١٩٣٣ فزيد اليها ملحق يكمل ما استدرك على الطبعة الاولى . ولقد نال القائمون بهذا العمل الفذ من التشاريف ، ما يجدر أن يصدر عن شعب يعرف قدر لغته ويعرف أن اللغة جزء لا يتجزأ من القومية . فقامت الاكاديميا البريطانية بصك مُدَلاَّة نقشت عليها صورة أول من قام على

(١) مستخلصة من مقدمة معجم اكسفورد الحديث للغة الانجليزية ومقدمة الى لجنة المعجم بمجمع فؤاد الاول للغة العربية

تحرير هذا المعجم من العلماء تخليداً لذكراه ؛ وأضفيت الالقاب العلمية على كثير ممن تولوا العمل فيه ، وكان لهم في تحريره أثر رئيس

***

وكان السبب الذي حدا علماء اللغة من الانجليز الى القول بضرورة تأليف معجم جديد على قواعد جديدة شعورهم بأن معاجم اللغة الانجليزية، منذ بداءة القرن السابع عشر ، كانت تقصر عن ادراك أغراض الأدباء وأهل العلم باللغة والفنون ، وان الزمن كلما تقدم بالأدب الانجليزي ازدادت المعاجم قصوراً عن ادراك اغراضه والقيام على حاجاته بما يحقق الغرض منها ، حتى لقد شبه معجم « كودري » Cawdrey الذي طبع في سنة ١٦٠٤ الى جانب معجم أكسفورد الحديث، بالبزرة اذا قيست بشجرة البلوط العظيمة

ولقد كان السبب الأول في عظم ما نجد من فرق بين تلك البزرة الدنيئة وتلك الشجرة العظيمة ، دخول ثلاثة مبادىء جديدة في تأليف المعجمات الانجليزية : فان مؤلفي المعاجم كانوا قد عكفوا على الطريقة القديمة في جمع المفردات الغريبة التي لا تعرض لعامة الناس ، على اعتبار أن ما بقي من الكلمات هي من البيان والتداول بحيث لا ينبغي ان تدخل في معجم اللغة الانجليزية، ولكن عدل عن هذه الطريقة في القرن السابع عشر وأخذت المعاجم تتسع لكثير من الالفاظ التي كان يرى أن اثباتها غير ضروري . وفي القرن الثامن عشر ألف جامعو المعاجم طريقة إثبات جميع الالفاظ التي يمكن أن تتداول في اللغة . أما الخطوة التالية لهذه فقد خطاها الاديب الكبير « جونسون » Johnson إذ عمد الى إثبات الشواهد التي توضح التعريفات الموضوعة للالفاظ وتؤيدها ، ثم أعاد النظر في معجمه وأضاف اليه ، في ملحق ، كل الالفاظ التي كان قد أهملها ، وألبتها بشواهدها . وأما كل هذا البناء العلامة اللغوي « رتشاردسون » Richardson بخطوة ثالثة هي التوضيح التاريخي للالفاظ ، واتباعاً لهذه الطرق ، وجب أن يكون المعجم الكامل للغة الانجليزية ، كتاباً من أضخم الكتب العالمية

ومن العجيب أن معجم « رتشاردسون » لم ينل ما يستحق من التفات العلماء وربما كان ذلك لنقص مّا في طريقته . ولقد أمضى نحو اربعين سنة منذ أن ظهر الجزء الاول من معجمه في « المعلمة الجامعة » Encyclopedia Metropolitana قبل أن تقبل الجمعية اللغوية النظرية التاريخية في وضع المعجمات قبولاً تامّاً ، وكذلك لم يؤثر طبع معجم « رتشاردسون » مستقلاً عن تلك المعلمة في سنة ١٨٣٦ — ١٨٣٧ أي أثر في المعجميين (أي مؤلفي المعاجم) Lexicographers الذين ظلوا يتبعون نفس القواعد التي اتبعها « جونسون » في انجلترا ، و « ويبستر » في امريكا . ومن العجيب ان تلك الثروة الهائلة من الشواهد التي أتى بها

«رتشاردسون» لم ينتفع بها وظلت غير مستخدمة في أغراض اللغة، في حين انها كانت مستودعاً طبيعياً خصباً يمد كل من فتش في جوانبه بجواهر لغوية حديثة وقديمة ، تضاف الى ما جمعه « جونسون » وأتباعه .

كانت الخطوة التالية بعد تلك الأربعين من السنين التي مضت على ظهور معجم «رتشاردسون» حتى اقتنعت الجمعية اللغوية بضرورة اتباع المبدأ التاريخي في تأليف المعجمات ، أن عهدت الجمعية الى لجنة مؤلفة من ثلاثة من أعضائها بأن يجمعوا الالفاظ الانجليزية غير المسجلة في المعجمات ، وأن يقدموا بذلك تقريراً عند انعقاد الجمعية في شهر نوفمبر من سنة ١٨٥٧ . وكان السبب في ذلك أن الجمعية أرادت أن تثبت في ملحق للمعاجم جميع الالفاظ التي أهملها « جونسون » و « رتشاردسون »

غير أن هذه اللجنة لم تقدم تقريرها اذ ذاك . ولكن أحد أعضائها وهو الاسقف « ترنش » Trench قرأ جزءاً من كلمة ألقاها في « بعض النقائص في المعجمات الانجليزية » في الخامس من نوفمبر سنة ١٨٥٧ وأجل تقديم تقرير اللجنة الى الثالث من شهر ديسمبر التالي. فأعطى هذا التأجيل فرصة طيبة للاسقف « ترنش » لكي يقرأ الجزء الباقي من كلمته على الجمعية في اليوم التاسع عشر من نوفمبر من تلك السنة فأصدرت الجمعية قراراً على أثر سماعها تلك الكلمة ( تضمن أنها طلبت من أسقف ومستستر أن يطبع كلمته الشيقة المفيدة وانه وافق على قرار اللجنة ) فطبعت تحت العنوان الآتي : —

On some deficiencies in our English Dictionaries, Being the substance of two papers read before the Philological Society, Nov. 5 and Nov. 19, 1857. By Richard Chenevix Trench, D. D. Dean of Westminster.

ويقول كاتب المقدمة في معجم أكسفورد الحديث إنه بالرغم من مضي ثلاثة أرباع قرن ( ١٩٢٨ ) على ما كتب الاسقف « ترنش » ، وبالرغم من تقدم البحوث والدراسات الانجليزية في أثناء ذلك ، فان ما ارتأى الاسقف « ترنش » من آراء، لا يزال حافظاً لقيمته العلمية باعتباره أساساً لما يجب أن يكون عليه المعجم الكامل للغة الانجليزية . ثم قال حرفياً :

« ولا يقرأ أحد ( ما كتب ترنش ) حتى يدرك على أية صورة من الجلاء والبيان استطاع أن يستشف كل التفاصيل التي ألف على مقتضاها معجم الجمعية ، وكانت جميعها في التحقيق نتيجة لمذهب التاريخي الذي جعله الاساس الثابت المعقول لعمل المعجم » .

وقبل ان انتقل الى الكلام في شيء آخر، آمل ان توصي لجنة المعجم بهذا المجمع الوفير بالحصول على هذا البحث الذي اتخذ اساساً لوضع معجم اكسفورد الحديث ، لكي يدرسه تلميذ من النظر ما لا يتيسر لنا بدراسة هذه المقدمة وحدها ، وأقترح الاتصال بالاستاذ « جب » بجامعة اكسفورد وتكليفه الحصول على نسخة منه وارسالها الينا .

***

في الثالث من شهر ديسمبر التأمت الجمعية اللغوية ، وقرىء عليها تقرير اللجنة التي عهد اليها البحث في « نقائص المعاجم الانجليزية » فقررت حفظه واستعانت عن لجنه بأن قررت أنه سوف يعرض على الجمعية عما قريب مشروع كبير لتأليف معجم حديث كامل للغة الانجليزية . ذلك بأن بحث الاسقف « ترنش » كان قد أقنع الجمعية بما تضمن من آراء ومقترحات ، وأبان أنه لا معدى للجمعية عن القيام بتأليف معجم حديث ، إذا هي أرادت أن تكفي حاجة اللغة الانجليزية .

ولم تضع الجمعية وقتاً في تنفيذ الفكرة الجديدة ، ولم تستخف بضخامة العمل التي هي مقدمة عليه ، ولا بعدد السنين التي تلزم لاكماله ، بل بالتي ينبغي أن تتفق قبل البدء به . وفي السابع من شهر يناير سنة ١٨٥٨ أصدرت الجمعية القرارات الآتية .

١ — يستعاض عن الملحق الذي أقرت الجمعية تأليفه تعقيباً على المعاجم الانجليزية المأثورة ، بتأليف معجم حديث للغة الانجليزية باشراف الجمعية اللغوية .

٢ — يعهد بعمل المعجم الى لجنتين : الاولى لجنة أدبية تاريخية : والثانية اشتقاقية ، وفي حالة الشك في حقيقة أية مادة ، يكون حكم اللجنة الادبية التاريخية نهائياً ومقبولاً ( وكانت اللجنة الاولى مؤلفة من ثلاثة أعضاء والثانية من عضوين )

٣ — تشكر الجمعية جميع الذين اشتركوا متطوعين للعمل مع «لجنة الالفاظ غير المسجلة» وتطلب مساعدتهم ومساعدة متطوعين آخرين للعمل الجديد . ويتلو ذلك ثلاث قرارات إدارية لا حاجة لنا بذكرها هنا ، لأنها تتعلق بالطبع وتمويل المشروع بأموال الجمعية وغير ذلك .

***

ومما هو ثابت في القرار الثالث ، نجد أن — « لجنة الألفاظ غير المسجلة » ، كانت قد نجحت نجاحاً كبيراً أثناء حياتها القصيرة ، في اذكاء روح الاهتمام بعمل اللجنة وفي تطوع مساعدين يعملون على تنفيذه . وأشار الى ذلك الاسقف « ترنش » في بحثه الذي ألمعنا اليه ، فأثبت في نهايته كلمات تشجيع فقال : «وأني لأذكر أن ستة وسبعين متطوعاً قد انضموا فعلاً الى اللجنة ، مطالبين بتعيين نصيبهم من العمل . وأن واحداً وعشرين ومائة من المؤلفين الانجليز قد وزعت مؤلفاتهم على هؤلاء المتطوعين ، وقد اختص في حالات عديدة متطوع منهم بكامل المؤلفات الصادرة عن مؤلف بعينه . وأزيد على ذلك أن واحداً وثلاثين عملاً كاملاً قد وردت الى اللجنة حتى الآن » — ثم يقول كاتب مقدمة معجم اكسفورد الحديث : «وبهذا وضع نظام القراء المتطوعين الذين لولا مساعدتهم الفعالة ، لما تم استجماع المادة اللازمة

لتأليف معجم الجمعية اللغوية ، التهم إلا بمبالغ طائلة من المال وأحقاب مديدة من الزمن ، لو لم يوفرها المتطوعون لاستحال انجاز العمل » .

ومضى زمن قبل أن أتيح للجمعية نشر تفاصيل عملها العظيم . ففي سنة ١٨٥٩ نشرت مقترحات لنشر معجم انجليزي حديث تقوم به الجمعية اللغوية . وقد يتضح من هذا المنشور مبلغ ما أتفق في تصميم هذا المعجم من الاستغراق في الدرس والتفكير ، واحتم بذكر الأسس التي سيقوم عليها المعجم ، وقد اكتفى كاتب المقدمة بذكر الأول والرابع منها باعتبارهما لب الموضوع وهما :

١ — ان الحاجة التي ينبغي أن تتوفر في أي معجم ، أن يتضمن كل كلمة استعملت في آداب اللغة التي يتناولها .

٢ — في معالجة كل لفظ بذاته ، يجب أن تتبع الطريقة التاريخية بغير استثناء . ويتضمن المنشور عدا ذلك ارشادات للمتطوعين من جامعي الألفاظ بحسب ما اتفق عليه في اللجان الأدبية والتاريخية والاشتقاقية ، ثم تنظيمات آلية وعملية ( تتبع في تدوين الألفاظ ) ، ويتلو ذلك كله قوائم الكتب (أي المراجع ) تدل كل قائمة منها على مقدار ما بذل في وضعها من جهد ومشقة . وقد نظمت كالآتي :

الأولى — قائمة بالمراجع الانجليزية المطبوعة من سنة ١٢٥٠ الى سنة ١٥٢٦

الثانية — قائمة بمراجع العصر الثاني أي من سنة ١٥٢٦ الى سنة ١٦٧٤ .

الثالثة — قائمة بمراجع العصر الثالث أي من سنة ١٦٧٤ الى سنة ١٨٥٨ .

ولقد روعي في اختيار هذا التقسيم حادثان تاريخيان الأول : طبع العهد الجديد (الأناجيل) بالانجليزية في سنة ١٥٢٦ ، والثاني وفاة الشاعر ملتن «Milton» في سنة ١٦٧٤ . ويرجع هذا الاختيار الى «هنري كولردج» H. Coleridge ، غير أنه وقع أيضاً عن مصادفة ، أن هذين التاريخين هما مبدأ الزيادة العظمى في مفردات اللغة الانجليزية ، فأقرا واتبعا في تبويب المؤلفات بحسبهما .

وبدأ عمل المتطوعين يثمر ويؤتي أكله ، ويزود اللجنة بمادة تعمل على بحثها وتحقيقها . ففي شهر ابريل من سنة ١٨٥٩ نشرت الجمعية تقريراً يتضمن أسئلة عن معالجة بعض المعضلات الاشتقاقية وكثير من العبارات الصعبة في الكتب الانجليزية القديمة ووزعته على أعضاء الجمعية وعلى المراسلين العاملين في المعجم ، وطلبت منهم تأويلها . ولقد قام « كولردج » باستخلاص ما له قيمة علمية من الردود التي تلقتها لجنة المعجم والتي يرى انه من المفيد أن تطبع وتنشر ، وتقدم بهذه الخلاصة الى الجمعية اللغوية في بحث عنوانه :

« محاولات لتبيان أصول بعض الكلمات الصعبة والعبارات الغامضة عند كتاب الانجليز . وفي العاشر من شهر نوفمبر من تلك السنة تقدم « كوارديج » ، وكان قد عيّن محرراً للمعجم ، تقريراً عن « معجم الجمعية » المراد تأليفه فكان من نتائجه أن أصدرت الجمعية في الثامن من ديسمبر ثلاثة قرارات :

الأول — تأليف لجنة تضع قواعد يسترشد بها محرر المعجم .

الثاني — تأليف اللجنة من سبعة علماء لوضع هذه القواعد .

الثالث — الترخيص للجنة بطبع القواعد التي تضعها اللجنة وأن توزع نسخاً منها على أعضاء الجمعية . وأن تعين إحدى الليالي المخصصة لاجتماع الجمعية لمناقش الأعضاء في تلك القواعد .

فأخذت اللجنة ، وبالطبع أخذ « كوارديج » بالنيابة عنها ، تتوالى في تحرير تلك القواعد ثم ناقشت فيها الجمعية متوسعة في بعضها مهذبة البعض الآخر في جلسات عقدت في شهر ديسمبر من سنة ١٨٥٩ ، ويناير من سنة ١٨٦٠ ، ثم أعيد النظر فيها ونوقشت مرة أخرى في شهري ابريل ومايو من سنة ١٨٦٠ ، ثم طبعت نهائياً بعنوان : « قواعد معجمية لغوية : أو الأسس التي ينبغي أن تراعى في تحرير المعجم الانجليزي الحديث الذي تصدره الجمعية اللغوية » — وهذا عنوانه في الانجليزية :

Canones Lexicographici, or rules to be observed in editing the new English Dictionary of the Philological Society.

وقبل ان انتقل الى الكلام في مسائل اخرى اقرر انه ينبغي لنا الحصول على هذه القواعد المعجمية اللغوية — لعلنا نسترشد بأشياء فيها قاعدة على وضع قواعد في تأليف معجمنا ربما غابت عنا وانتفع بها مؤلفو المعجم الانجليزي ، ويمكن الحصول عليها اذا اتصلنا بالاستاذ « جي » بجامعة اكسفورد .

***

وكان العمل كلما تقدمت به السنون ، ازداد القائمون بأمر المعجم بصيرة بحقيقته وعظمته وضخامته . فان محرره الأول « هنري كوارديج » قد بدأ بتحرير جزء من حرف الألف في سنة ١٨٦١ ليكون مثالاً يحتذى في تحرير مواد المعجم . ولكن اتضح أن كل عمل من هذا القبيل ، انما يكون سابقاً لأوانه حتى يتم جمع أكثر مواد المعجم من المظان الأدبية واللغوية . وحتى بعد ذلك ، لا يمكن أن يكون تحرير المواد نهائياً وكاملاً ، وانما يكون تمهيداً لتحريرها بحيث يضاف الى كل مادة ما يعثر عليه في المظان من الاستعمالات في أثناء قراءة الكتب المعتمد عليها والمتخذة أصولاً لجمع مواد المعجم . ومن هذا يتضح لنا أن معجماً لغوياً تاريخياً انما هو عمل موصول أوله بآخره . فقد يحتاج محرر المعجم الى إضافة

استعمال الكلمة في مؤلف ظهر في آخر عصور اللغة ، ولا يكون لهذا الاستعمال مثيل فيما تقدم من الأزمان .

وفي ١٢ من يوليو سنة ١٨٦١ ، جمع « فورنيوال » Furnivall ، المحرر الذي عمل في المعجم بعد « كوردج » ، الذي مات في تلك السنة وله من العمر احدى وثلاثون سنة ، أسماء الكتب التي قرئت حتى ذلك التاريخ ، فرقمت في قائمة عدد صفحاتها أربعة وعشرون ، ومما جاء فيها يتضح أن عدد الكتب التي قرئت من العصر الأول كان ١٤٣ كتاباً ، ومن العصر الثاني ٤٨٦ كتاباً ، ومن العصر الثالث ٨١ كتاباً .

وكان « كوزردج » قبيل وفاته قد بدأ يجمع الألفاظ في قوائم سميت « أصول المقارنة » إذ بها يتضح مقدار العمل اللازم لكل حرف من حروف المعجم على حدة ، وما ينبغي أن يبذل في سبيل تحريره من كدّ ونصب ، حتى إذا أريد بعد ذلك توزيع الحروف المختلفة على عدد من المحررين ، أمكن توزيعها بحيث يتوازى عمل كل منهم على وجه التقريب . وكان يذكر في هذه القوائم التي سميت « أصول المقارنة » عدد الجزازات الخاصة بكل مادة بذاتها مع معرفة الشواهد المفرغة في تلك الجزازات وما هو متفق منها ، وما هو مختلف .

وفي أوائل سنة ١٨٦٢ تقدم « فورنيوال » محرر المعجم باقتراحات الى الجمعية اللغوية قبلت برمتها وهذه هي :

١ — تأليف معجم صغير يكون تمهيداً للمعجم الكبير ، ويتخذ العمل فيه أصلاً جديداً من أصول المقارنة يتناول كل العصور التي سيؤرخها المعجم الأعظم .

٢ — أن يكون المعجم الصغير مختصراً للمعجم الكبير وأن يتناول النواحي النطقية والانتقادية والاشتقاقية وأصول الكلمات والبوادىء والكواسع Prefixes and Suffixes والتعريفات وما في بعض الكلمات من الجناس ، وأن يذكر مع كل مادة شاهد أو شواهد لا يتجاوز الواحد منها بضع كلمات مع ذكر التاريخ والمؤلف المأخوذ عنه الشاهد . وذلك من المادة المستجمعة حتى ذلك التاريخ . فاذا كان ما جمع لم يذكر شواهد بعض المواد استعين على ذلك ببعض المصادر الوثيقة التي تكون في متناول المحرر وأضيف اليها كل الأمثال والمعاني التي يحتاج اليها .

٣ — أن يعهد المحرر حسب اختياره بالشواهد المستجمعة عنده الى بعض المراسلين أو الى بعض المتطوعين ، وأن يختار من يثق بهم ليكونوا معاونين له في تحرير هذا المعجم المختصر .

وكانت الفكرة الأساسية في تأليف هذا المعجم المختصر ، هو التمهيد للمعجم الكبير ومرانة على العمل فيه .

في سنة ١٨٧٩ تولى « جيمس موري » James Murray تحرير المعجم . وكانت الجوازات المستجمعة من المطان المقروءة قد ازدادت وضخمت وأصبح من الضروري تنظيمها بحيث يمكن الاستفادة منها استفادة عاجلة عند الحاجة ، فقضى بنظمها وكوّن لها أماكن خاصة تتسع للجوازات مبوّبة تبويباً أبجديًّا ، وأنشأ لذلك مكتباً Scriptorium جمع الى قاطر الجوازات موائد للتحرير ، وأخرى للمراجعة وعكف على تنظيم هذا العمل العظيم تنظيماً يحقق الانتفاع بالمادة المجموعة ، مع الاقتصاد في الوقت قدر المستطاع .

وحتى عند بلوغ هذه المرحلة شعر القائمون على المعجم بأنهم في حاجة الى قرّاء متطوّعين فطبعت دعوة الى العالم الانجليزي في شهر ابريل سنة ١٨٧٩ يطلب المساعدة لاتمام « المعجم الانجليزي الحديث » ، وسرعان ما تقدم الى الجمعية الف قارىء جدد ، وأخذ جمع المادة اللغوية بعد ذلك يسير بخطوات سريعة محققة النتائج .

***

ولقد اتبع في جمع مادة هذا المعجم طريقة نظمت على أساس عملي قام بتنفيذها المتطوعون ومساعدو التحرير . وكان من البين بديًّا أن أول خطوة في سبيل تأليف معجم جديد للغة الانجليزية هي استجماع شواهد وثيقة من الأدب الانجليزي في خلال عصور اللغة المختلفة . وكان « جونسون » و « ريتشاردسون » قد انتقيا من المادة التي استجمعاها ، ومن الظاهر ان هذا الانتقاء ينبغي أن يكون له حدود عملية يسير بمقتضاها ، بصرف النظر عن سعة المادة التي ينتقى منها ، وفي هذه الحالة كان الاشراف على ما ينتقى من الشواهد أمراً غير يسير . وكان الضمان الوحيد لعلاج هذه الصعوبة هي أن يكون من عناية بعض القرّاء وقوة تمييزهم وسمو ذوقهم الأدبي ، ما يمكن أن يسد نقائص الآخرين

ومن الارشادات التي نشرت في سنة ١٨٥٨ وسنة ١٨٧٩ أمكن الوصول الى اتساق في الأسلوب الذي يتبع في عرض الشواهد . فكل شاهد يكتب في جوازة هي عبارة عن ربع فرخ من الورق ( ما عدا القرّاء الذين كانوا يستعملون ورقاً من عندهم ، فهؤلاء كانوا يكتبون على جوازات حيثما اتفق نوعها وسمتها ) . ولا تكون الجوازة كاملة إلاّ باستكمال ثلاثة وجوه . (الاول) الكلمة المنتقاة وتكتب في الركن الأيسر العلوي من الجوازة ( الثاني ) التاريخ والمؤلف والعنوان والصحيفة وغير ذلك من البيانات الخاصة بالكتاب المأخوذ منه ( الثالث ) الشاهد نفسه ، إما كاملاً وإما مختصراً بطريقة لا تعيبه . فمكانت الجوازة الكاملة مثلها كالآتي :

Britisher

1883, Freeman Impressions U. S. iv. 29. I always told my American friends that I had rather be called Britisher than an Englishman, if by calling me an Englishman they want to imply that they are not Englishmen themselves

ومن أجل أن يسهل على القارىء تحرير الجزازة من غير أن يضطر الى تكرار البيانات المذكورة في الوجه الثاني ، أي التاريخ والمؤلف والعنوان والصحيفة الخ ، طبعت هذه الأشياء على الجزازات ؛ وما على القارىء إلا أن يملأ فراغها مع نقل بعض الشواهد فقط ، ومع ملاحظة تقدير العدد اللازم من الجزازات لكل كتاب على ضوء حاجة العمل في كتب مماثلة . كما انه استعيض عن الطبع بطوابع توضع على كل جزازة وعليها البيانات اللازمة .

والطريقة التي أراها ناجحة في تذليل هذه الصعوبة هي ان نعمد الى الارقام فهي اسهل واسرع ، فيطبع على الجزازة الكلمات الآتية ويملأ بأرقام كالآتي :

| الكلمة | الكتاب | الفصل | التاريخ | الصحيفة | السطر | الطبعة (١) |
|---|---|---|---|---|---|---|
| اخذ | ٣١٥ | ٢ | س ٣٢٠ ق ٢ | ٢٢٠ | ١٢ | مصر ـ ١٩٤٠ |

والارقام المبينة للمراجع تفرغ في قوائم يرجع اليها عند تحرير المادة

وقد طلب في الارشادات التي وزعت على القارئين مراعاة الأسس الآتية : ( وكان ذلك فيما نشر سنة ١٨٧٩ )

١ — ذكر شاهد لكلمة ترى أنها نادرة الاستعمال أو مهجورة أو قديمة المعنى أو خاصة أو استعملت بمعنى خاص .

٢ — يلتفت التفاتاً خاصاً للعبارات التي تظهر أو تتضمن الدلالة على أن اللفظ جديد ومستعمل ، أو أنه في حاجة الى بيان أنه مهجور أو عهد ، وبذلك يمكن تعيين تاريخ استعماله أو اغفاله .

٣ — ذكر عدد الشواهد بقدر المستطاع للكلمات العادية . وبخاصة عندما تستعمل لدلالة خاصة ، والرجوع الى القرينة لتوضيح معناها أو ذكر ما يساعد على ذلك من الشروح

ومن الظاهر أن هذه القواعد تختلف درجات السهولة في تطبيقها باختلاف الكتب ، وأن مهمة بعض القراء قد يتفق أن تكون أكثر صعوبة وأوسع مدى من مهمة البعض

(١) س = سنة ، ق = قرن

الآخر ، حتى إذا تناول كل منهم كتباً تتساوى من حيث الضخامة ، وكذلك كمية العمل والانتاج ، فانها تختلف اختلافاً كبيراً . وفي كلا العهدين الاثنين مرّ بهما تأليف المعجم ، كان من بين القراء من هم المثلُ الأعلى في الانتاج ، وقد تركوا في كل صفحة من صفحات المعجم أثراً يمكن أن يلمسه كل من له خبرة خاصة بذلك . فهؤلاء من ناحية ، مع جيش عظيم من القراء الذين هم أقل منهم انتاجاً واتقاناً في العمل من ناحية أخرى ، استطاعوا أن يضخموا كمية الجوازات حتى ضاقت بها الاماكن التي خصصت لها في المكتب العظيم الذي أسسه الأستاذ « موري » . ومما يدلك على مقدار السرعة التي ازداد بها عدد الجوازات في العصر الذي بلغ فيه انتاجها أعظم مبالغة ، عبارات نشرت ضمن تقرير تناول سير العمل جاء فيه :

في شهر مايو من سنة ١٨٧٩ ، تقدم الى الجمعية ، تلبية للنداء الذي نشرته في أواخر ابريل من السنة نفسها ١٦٥ قارئاً ، منهم ١٢٨ اختاروا الكتب التي يقرءونها بأنفسهم ، فزوّدوا بالجوازات ، وهم عاكفون الآن على العمل أما عدد الكتب التي وزعت فبلغ ٢٣٤ كتاباً.

وبعد مضي سنة على نشر هذا التقرير ( ١٨٨٠ ) ، بلغ عدد القراء ٧٥٤ عكفوا على قراءة ١٥٦٨ كتاب ، انتهى العمل في ٩٢٤ منها ، كما بلغ عدد الجوازات المطبوعة التي وزعت عليهم ٦٢٥٫٠٣٥ ، انتفع منها بما لا يقل عن ٣٦١٫٦٧٠ شاهد لغوي تاريخي . ومن هؤلاء القراء امتاز عدد بضخامة الانتاج فتراوح ما أرسل منهم بين ٤٥٠٠ و١١٫٠٠٠ جوازة . وبمضي سنة أخرى ، أي في سنة ١٨٨١ بلغ عدد القراء ٨٠٠ منهم ٥١٠ لا يزالون يعملون في جمع الشواهد ، وبلغ عدد الجوازات في تلك السنة ٨١٧٫٦٢٥ والشواهد المنتفع بها ٦٥٦٫٩٠٠ . وبلغ عدد المؤلفين الذين جمعت مؤلفاتهم ليرجع اليها ٢٧٠٠ ، وبلغ عدد عناوين الكتب ٤٥٠٠ .

أما تفاصيل هذا النشاط العظيم فقد أشير اليها في مقدمة الجزء الأول من المعجم ، كما أن قائمة كاملة تضمنت أسماء القراء ، والكتب التي قرءوها في المدة الواقعة بين سنة ١٨٧٩ و١٨٨٤ مع ذكر عدد الشواهد التي استخلصها كل منهم ، قد ألحقت بخطاب الرئاسة الذي سمعته الجمعية اللغوية في سنة ١٨٨٤ . فاذا نظرت في هذه القائمة اتضح أن الاهتمام بشأن هذا المعجم في الولايات المتحدة قد ازداد بمر الزمن واحتفظ بطابعه . حتى لقد أشار مستر « موري » في خطاب الرياسة سنة ١٨٨٠ الى ما كان من غيرة أهل الولايات المتحدة على العمل والنتائج التي أخرجوها فقال :

« أما من حيث قراءة المراجع ، فاني لا استطيع أن أقوم بواجب التقدير نحو أبدى أصدقائنا في الولايات المتحدة من غيرة وعطف ، فان غيرتهم الصادرة عن حب صحيح للغتنا المشتركة وتاريخها ، والرغبة الكبيرة في اخراج معجم جدير بهذه اللغة ، جُمّاع ذلك قد ترك في نفسي أثراً عميقاً لا يزول . واني لا أوردد في القول بأني قد آنست في الأمريكيين حبًّا مثاليًّا للغة الانجليزية باعتبارها ميراثاً عظيماً ورثناه عن أوائلنا ، وفخاراً بأن لهم صلة بذكرياتها المجيدة ، أشبه بذلك الفخار الذي يتيه به بحاثة فذ من اتصاله بآداب الاغريق الأقدمين . آنست ذلك فيهم بقدر ما آنست من ندرة تلك المشاعر بين الانجليز نحو لغتهم . ومن هنا استنتج معتمداً على قرائن عديدة ، أن الأمريكيين سيكون لهم القيادة العليا في البحوث الانجليزية بعد مضي زمن ليس ببعيد » .

ولا يقل عمل الذين تطوعوا في مساعدة التحرير شأناً عن عمل القراء . ولو لم يقم هؤلاء بعمل سوى تصليف ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ جزازة من جزازات المعجم ، لكان في هذا العمل وحده من اقتصاد في الوقت والمال ، ما لا تقدر له قيمة حقيقية . ولكن الواقع يشهد بأنهم اشتركوا اشتراكاً فعليًّا في تنسيق تحرير المعجم تنسيقاً ظهرت آثاره السريعة في انجاز الجزء الأعظم من صفحاته .

***

واستمر العمل في المعجم بنشاط كبير حتى أن « هنري كولردج » قد تصوّر أنه من الممكن أن يخرج الجزء الأول من المعجم بعد سنتين من بدء العمل فيه أي حوالي أوائل سنة ١٨٦٢ ، وقال إنه لو لا توانى بعض القراء لاستطاع أن يعين لاخراج الجزء الأول ميعاداً أقرب من هذا . ولكن الواقع أن بدء تكوين المواد الأولى من حرف الألف لم يبدأ إلا في سنة ١٨٨٢ ، وأخذ العمل في المعجم يتم على النمط الآتي :

| | | |
|---|---|---|
| AB | 1882 | 88 |
| C | 1888 | 93 |
| D | 1893 | 97 |
| E | 1888 | 93 |
| F | 1893 | 97 |
| G | 1897 | 1900 |
| H | 1897 | 99 |

والسبب في تداخل السنين في تحرير هذه الحروف أنه كان قد عهد الى لجان مختلفة بتحرير مواد حروف بعينها.

ومن أهم ما يلاحظ في تأليف المعجم قول كاتب المقدمة أن العمل الذي قام به المساعدون الرسميون كان له الأثر الرئيس في جميع الأدوار التي قطعها القائمون بأمر المعجم بعد تنظيم العمل بالاعتماد عليهم فكان من نتيجة ذلك توالي الخطوات على النسبة الآتية

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| O | — 1902 | | L | — 1901 — 03 | IJK | — 1899 — 1901 | |
| R—Re | — 1903 — | 07 | M | — 1904 — 08 | O | — 1902 — 1904 | |
| N | — 1906 — | 07 | S—SH | — 1908 — 14 | P | — 1904 — 09 | |
| Re—Ry | — 1907 — | 10 | St | — 1914 — 19 | T | — 1909 — 15 | |
| Si—Sq | — 1910 — | 20 | W—We | — 1920 — 23 | Wh-Wo | — 1922 — 27 | |
| V | — 1916 — | 20 | Su—Sz | — 1914 — 19 | | | |
| U | — 1921 — | 26 | XYZ | — 1920 — 21 | | | |
| Wo-Wy | — 1927 | | | | | | |

وظهر المعجم مطبوعاً أول مرة في سنة ١٩٢٨ .

***

## ايضاحات عامة

من الايضاحات العامة التي ذكرت في مقدمة معجم اكسفورد الحديث ما يمكن الانتفاع به ، لانه يتناول جهات عامة يستطاع تطبيقها على كل اللغات ومنها ما لا يمكن الانتفاع به لانه يتعلق بخصائص اللغة الانجليزية التي لا يشاركها فيها لغة أخرى . فهذا ملخص هذا ما نتوقع ان ننتفع به من الآراء التي اتخذت دعامة لتأليف هذا المعجم اللغوي التاريخي الذي يعتبر الآن الديوان الكامل للغة الانجليزية

ان مفردات لغة حية عظيمة الانتشار سامية الآداب فائقة الثقافة، لا يمكن أن تصبح كمية ثابتة تحوطها حدود معينة . فان تلك المجموعة الهائلة من الالفاظ والعبارات التي منها يتكوّن مفردات اللغة التي يتكلمها الانجليز ، انما تمثل لعقل أولئك الذين يريدون التعرف فيها باعتبارها كلاً محدود النواحي معين الاطراف، منظر واحدة من تلك الكتل المدينية المعروفة عند الفلكيين، والتي يكون فيها نواة نيّرة تستبان بدقة، مرسلة ضوءها إلى جميع ما يحوطها فيخترق مناطق يقل فيها الضوء، الى أخرى تلوح كأنها بِرقٌ كَسِيد لا تكتنه له منتهى ولا غاية ، ثم تمتد كتلته متدرجة شيئاً بعد شيء حتى تغيب في الظلمات المحافة به ، من غير أن يدرك كيف غابت وكيف ابتلعتها تلك الظلمات . فالغة في تكوينها وحقيقتها يمكن أن

توازن بواحدة من تلك الغرائز الطبيعية التي يصنفها الحيوانيون والنباتيون والتي تتخذ فيها أنواع مناسبة لتكون بمثابة النواة الجوهرية لقبيلة من قبائل الحيوان أو النبات ، في حين تتصل هذه الانواع بأنواع أخرى ، تكون فيها تلك الصفات المثالية أقل ظهوراً ثم أقل ظهوراً ، حتى تختفي في النهاية عند حافة تلتقي عندها بصور انحرفت صفاتها عن الصفات المثالية ، ونزعت الى الاندماج لاشعورياً في قبائل مختلفة تحف بها في النظام الطبيعي ، أي الى حيث يكون تحديد تركزها الحقيقي غامض ومشكوك فيه . ومن أجل أن يسهل الباحث الطبيعي مهمته في التصنيف ، يبدأ بوضع خط يحدد عنده تخوم شعب أو قبيلة من الاحياء ، بحيث يكون هذا الخط في خارج نطاق صورة معينة ( حيواناً أو نباتاً ) أو في داخل نطاقها ، ذلك في حين أن الطبيعة لم ترسم مثل هذا الخط في ناحية من نواحيها ولم تقم ندأ له في تضاعيفها كذلك مفردات اللغة الانجليزية ، فان لها نواة أو بالأحرى كتلة مركزية مكونة من آلاف من الالفاظ لم يطعن في انجليزيتها ، ومن هذه الالفاظ جزء أدبي صرف ، وجزء آخر علمي صرف ، فأغلبية هذه الالفاظ أدبية علمية ، وهذه هي التي تسمى ألفاظ اللغة الاصلية ، غير أن هذه الالفاظ موصولة من جميع نواحيها بألفاظ أخرى تمضي أحقيتها في أن تسمى هذه التسمية تتضاءل شيئاً فشيئاً ، في حين أن تضاؤل أحقيتها في أن تكون من « الالفاظ الاصلية » يحرفها نحو مجال آخر : أي نحو اللهجات المحلية ، أو التحريف أو الكلام الاصطلاحي الذي يكون لبعض الطوائف والطبقات ، أو العبارات التجارية أو ما تواضع عليه بعض الشعب الاجتماعية ، أو المصطلحات العلمية التي يشترك في استعمالها كل الامم المتمدينة ، واللغات التي يتكلمها أهل البلاد الاجنبية أو بعض الأمم الأخرى . ولن تقع في جُمّاع ذلك على خط تعييني في جميع هذه الاتجاهات . فدائرة اللغة الانجليزية لها مركز معروف تمام المعرفة محدد تمام التحديد ، ولكن لن تقف له على محيط محدود . ذلك في حين أن الاستفادة العملية من معجم ، ينبغي أن يكون لها بعض الحدود .

وإن معجماً ما لابدّ من أن يكون له منتهى وغاية . وهنا ينبغي للمعجمي أن يتشبه بالعالم الطبيعي ، فيرسم خطًّا أوليًّا في موضع ما لكل اتجاه من اتجاهات الاتفراج والتباعد .

ولقد رسم مؤلف مقدمة اكسفورد شكلاً بيانيًّا لألفاظ اللغة الانجليزية على الصورة الآتية :

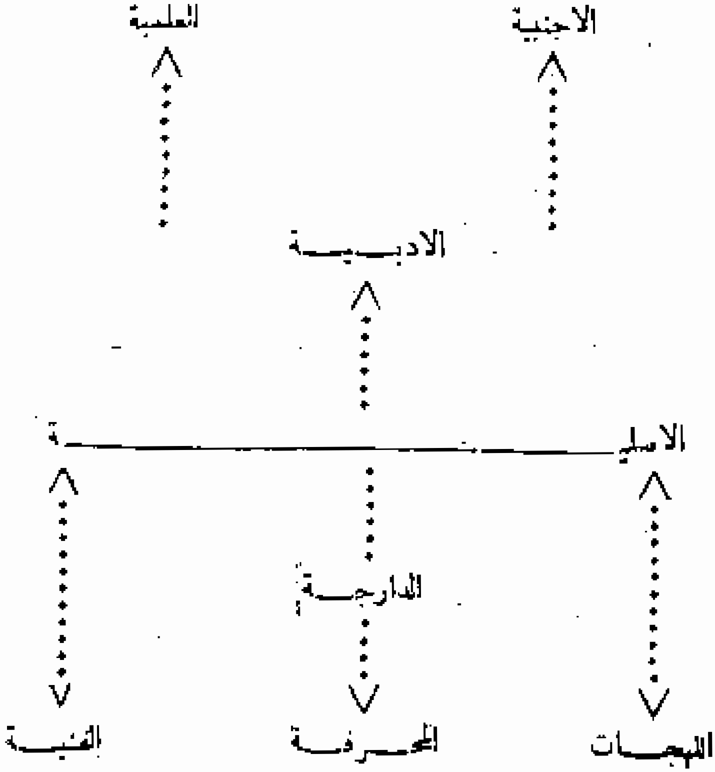


فمعجم جديد يؤلفه معجميون محدثون ، ينبغي أن يتضمن جميع الألفاظ العامة في الأدب والحديث ( الـكلام ) ، وكـذلك الألفاظ العلمية والفنيـة والحرفة وألفاظ اللهجات والألفاظ الأجنبية المستعملة في اللغة والتي درجت بها الألسن بما قارب مرتبة « الألفاظ العامة » للغة .

وبعد كل هذا ينبغي أن يعلم المعجمي أن الخط الذي رسمه لألفاظ اللغة سوف لا يرضي النقاد. ذلك بأن مجال « الألفاظ العامة » يتسع بمقتضى اطلاع كل ناقد وبحوثه وأعماله ومعاشه من حيث اقامته في الريف أو المدن أو في بلاد أجنبية ، كما يضيق هـذا المجال في النواحي التي لا صلة له عليًّا بها . فليست انجليزية أي فرد هي الانجليزية برمتها ، ولذا ينبغي للمعجمي أن لا يقتنع إلا برصد الجزء الاعظم من الالفاظ التي يستعملها كل فرد بذاته ، وهـذا يفوق ، بما لا يمكن تقديره ، مجموع الألفاظ التي يستعملها فرد واحد .

بالاضافة الى الألفاظ العامة للغة ، وبالاضافة الى كل اتجاهات التوسع والتباين فيها ، تقع على عدد غير محدود من أسماء الأعلام مرتجلة ومنقولة تخرج عن دائرة الالفاظ المعجمية ، في حين أنها تمسها من الآف النواحي التي تضفي على هذه الأسماء ، وبصورة أخص على النعوت والأفعال المشتقة منها ، قيمة معنوية تختلف بحسب الأحوال . وفي هذه الحالة ينبغي أن نرسم حدوداً قد يزيد فيها أثر الاختيار أو يقل .

كذلك نجد أن للغة ناحية أخرى لا يمكن تحديد تخومها ، ذلك إذا نظرت الى اللغة من حيث علاقتها بالزمان . فان المفردات الحية للغة من اللغات ، لا تملك من صفة الاستقرار في تكوينها ، أكثر مما تملك من صفة التقيد بحدود تنتهي عندها . فمفردات اللغة اليوم غيرها منذ قرن من الزمان ، وكذلك ستكون غيرها بعد قرن يمر من الآن . ذلك بأن عناصرها المكوّنة لا تفتأ في انحلال وتجدد مستمرين ولكنهما بطيئي الأثر . فالألفاظ القديمة يتولاها الاغفال فتصبح مهجورة أو ميتة . ذلك في حين أن الألفاظ الجديدة دائمة التغلغل في تضاعيف اللغة . وموت كلمة من الكلمات ليس من الأشياء التي يمكن تحديد زمانها تحديداً تامًّا . ذلك بأن موت اللفظ عبارة عن عملية اختفاء ، تستمر زمناً متطاولاً ، لا يستطيع المعاصرون أن يدركوا نهايته . فكلمة تستعمل في هذا العصر ، لا يمكن أن توجر ، وانما تموت بعض الكلمات بموت أجدادنا الذين كانوا يستعملونها . وحتى بعد أن نكف عن استعمال كلمة ، فان ذكراها تظل حية ثم تبقى معتبرة حية على اعتبار امكان الرجوع الى استعمالها . فاذا مات آخر من يحتمل أن يستعملها ، ماتت الكلمة . ومن هنا نجد أن هنالك عدداً كبيراً من الألفاظ نشك في أنها وحدة من الوحدات الحية في اللغة ، ذلك بأنها حية عند البعض ، ميتة عند آخرين ، ونرى من جهة أخرى أن ألفاظاً يمكن أن يكون لها حق الدخول في مجموعة المفردات المعترف بها في اللغة وهي ألفاظ يمكن أن يعود بعضها الى التقبل والاستعمال ، بل هي من الألفاظ الكثيرة الدوران على ألسنة بعض المتكلمين وأقلام بعض الكاتبين ، وهي ليست من الانجليزية الجيدة عند البعض ، أو هي ليست انجليزية بحال ، عند البعض الآخر . اذا اتبعنا طريقة تقسيم الألفاظ قسمين : مستعمل ومهجور ، وجعلنا الفكرة في اللغة مقصورة على الألفاظ التي هي انجليزية صرفة منذ البداية أو من عصر ما من العصور ، فاننا بذلك ندخل ناحية من موضوع بحثنا يكون استعراضنا فيها لطبيعة اللغة ناقصاً غير تام . ذلك بأننا نعرف مفردات العصور السالفة عن طريق المدونات التي تركها السلف ، ومقدار علمنا بها يتوقف على كمية ما يصل الينا من هذه المدونات ومدى محتوياتها . وكلما كان رجوعنا الى الماضي أبعد وأقصى ، نقصت هذه المدونات ، وقل محصول المفردات التي يمكن أن نقع عليها .

( يلاحظ هنا ان الحال في اللغة العربية الآن ربما كان على عكس ذلك تماماً )

وهذا المعجم ، مع خضوعه لكل الحالات التي يمكن أن تعتور تأليف معجم كامل للغة الانجليزية ، سيتضمن تاريخ كل الكلمات المستعملة الآن ودلالتها ، والكلمات التي يمكن أن نعرف أنها كانت مستعملة منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي . وكان تعيين هذا العصر راجعاً الى الرغبة في اهمال جميع الألفاظ التي استعملت في الانجليزية القديمة أو الانجلوسكسونية .